



الاختلاف عند دولوز The Difference in Deleuze

أ. ريم منصور^{*1}

¹ المعهد العالي للعلوم الإنسانية، جامعة المنار. تونس، Rim.mansour86@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/03/19 تاريخ القبول: 2021/09/01 تاريخ النشر: 2021/09/30

Summary

In this research paper, we try to highlight the importance of "difference" in the open Deleuze philosophy, where Deleuze's preoccupation with the issue of difference was the result of his debate on closed metaphysical thought, which cursed the difference and it's extreme. The motives that made Deleuze dismantle the philosophical mind are his contempt for the different in return for his adherence to a set of finite closed chains through which he can impose homogeneity between its components and chains.

Deleuze's criticism of the status of difference in the philosophical mind resulted in the emergence of a new image of thought through which he was able to establish an open philosophy that believes in difference and realize the integration between different recurrences.

Keywords: Difference, Deleuze, Metaphysics, Opened Philosophy, Immanent Surface, Recurrences.

الملخص

نحاول في هذه الورقة البحثية إبراز مكانة "الاختلاف" في الفلسفة الدولوزية المفتوحة حيث كان إشغال دولوز بمسألة الاختلاف نتيجة مناظرته للفكر الميتافيزيقي المغلق الذي لَعَنَ الفرق وأقصاه. إنَّ الدوافع التي جعلت "دولوز" يفكِّك العقل الفلسفي إحتقاره للمختلف مقابل تقبُّده مجموعة سلاسل مغلقة متناهية يتمكن بواسطتها من فرض التجانس بين مكوناته وسلسله.

توصلت الدراسة إلى أن النقد الدولوزي لمنزلة الاختلاف في العقل الفلسفي قد أسفر عن بروز صورة جديدة للفكر إستطاع من خلالها تأسيس فلسفة مفتوحة تؤمن بالفرق أو التمايز والتفاضل، فهذه الفلسفة حرَّرت الاختلاف من الجذر الرباعي للهوية كالتمثل، التقابل، عدم التناقض، التشابه، وتمكنت من تحقيق التعاضد والتكامل بين مفهومين مختلفين وهما الاختلاف والمعاودة.

الكلمات المفتاحية: الاختلاف، دولوز، الميتافيزيكا، الفلسفة المنفتحة، سطح محايت، المعاودة.

أ. ريم منصور: Rim.mansour86@gmail.com *



مقدمة:

إذا كانت مهمة الفلسفات المغلقة تكمن في تحقيق الانسجام بين مختلف العناصر المكونة للنسق لبلوغ مجموعة حقائق معطاة ومطلقة، فإن لرواد الفكر الما بعد حدثي تصوّرات معارضة كاشفة لثغرات الفكر المغلق، ومن أجل ذلك وظّفوا عدّة طرق أو مناهج لتقويض مفهوم الشمولية والانفصال عن ذلك الإرث الفلسفي الذي يقدر مقولات الصدق، الهوية المطلقة والمعطاة سلفاً، المفترضات المسبقة والتمثل، لطرد الاختلافات ونفيها.

أصبحنا مع الفلسفات المتأثرة بالنقد النيتشوي الفاضح لأوهام الميتافيزيقا، نتحدث عن وجود فلسفات مفتوحة غير نسقية تتوجه نحو الغيرية، المحايثة، الجنون، اللاوعي، الخطأ، التنوع، التعدّد والاختلاف الذي كان من أهمّ المسائل المنسيّة والمستبعدة في الفكر النسقي المغلق لأنّه يُخيّل له أنّ الفرق يُمثل ذلك الترياق أو الشرّ الذي يجوز نفيه وتجنبه كمعارض لمقولات النظام أو التشابه، وهنا وظفت هذه الأنساق جميع أساليب النبذ أو الإقصاء إزاء الاختلاف التي مكنتها من تحقيق تطلعاتها الأساسية التي تظهر في بُلوغ الانسجام التام بين مختلف أفكارها دون الوقوع في الخطأ، ودمج كل ما هو مختلف تحت سيطرة الوحدة التامة أو النظام المطلق. ومع فيلسوف كدولوز سوف ينصب تفكيره حول هذا المنسي أو المهمش، لذلك يُعدّ مفهوم الاختلاف من أهمّ بنات أفكاره الفلسفيّة معتبراً أنّ مسألة الفرق تمثل ميزة الفكر المعاصر المتحرر من فلسفات النظام المطلق، ووفقاً لذلك سنحاول في هذا المقال إبراز مكانة الاختلاف ودلالته في فلسفة "دولوز" (1925-1995) المفتوحة المتوارثة عن



مجموعة فلاسفة من بينهم "نيتشه" (1844-1900)، "هيدغر" (1989-1976)، "برغسون" (1859-1941) و"فوكو" (1926-1984).

انطلاقاً من ذلك، كيف يُمكننا التفكير في الاختلاف مع دولوز، بعد أن كان بمثابة الشيء البرّاني في الفكر الميتافيزيقي؟ ما هو معنى الاختلاف لديه؟ وما هي علاقته بالتكرار؟

1. نقد المكانة الهشة للاختلاف في العقل الميتافيزيقي (المعرفي والعملي)

1.1: في معنى الاختلاف

قبل الشروع في تبيان مكانة الاختلاف في الفلسفة الدولوزية، يقتضي الأمر تعريف لفظة الاختلاف وإبراز معناها اصطلاحاً.

يُعدّ الاختلاف ميزة كونية وسنة من سنن هذا الكون الذي نعيشه ونقيم فيه، وقد تبدو سمة الاختلاف متواجدة في الواقع وشاملة لكل مكونات الوجود، مثلاً نجد اختلافات بين الفصول الأربعة، اختلاف ألوان البشر وأجناسهم، اختلاف الحيوانات والنباتات، اختلاف الليل والنهار، اختلاف الكواكب وأخيراً اختلاف الأفكار، الآراء، المعتقدات والتوجهات.

إن الاختلاف لغة مصدرٌ لفعلٍ اختلف ويعارض فعل إتفق، وقد يُقال تخالف القوم واختلفوا أي أنّ كلّ واحد ذهب إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، ويُقال أيضاً تخالف الأمران واختلف فهما لم يتفقا ولم يتساوا ويتضح لنا في هذا المعنى أنّ الاختلاف يحيل إلى التباين، التضاد، عدم التساوي، المخالفة والتمايز. (زياد، 2017)



أما إصطلاحًا يحيل الاختلاف إلى التناقض في وجهة النظر أو موقف ورأي بين شخص أو عدة أشخاص وقد يظهر ذلك من خلال كثرة المذاهب والتصورات الفكرية والسياسية.

يُضفي الاختلاف جمالاً ورؤفًا على هذا الوجود، لأنه يفتح على الكثرة والتعدد متجاوزا لفكرة التناحر أو التصادم الذي يحصل نتيجة إختلاف المواقف والأفكار وعدم الاعتراف بوجود التمايزات والتناقضات. (زياد، 2017)

خلقت الاختلافات كي تتكامل فيما بينها وتتعايش مع بعضها البعض في هذا الكون غير المحدود، لذلك حُضي مشكل الاختلاف في الفلسفة المعاصرة بمكانة مرموقة، خصوصا إثر النقد الجينيالوجي النيتشوي الذي أسهم في تعرية وفضح مكبوتات الأنساق المغلقة التي همشت كل ما هو مرتبط بالفروقات، التنوعات، الكثرة والصيرورة، فهذا النقد أسهم في بروز تيار فلسفي ما بعد حدائي مهتم بمكانة الاختلاف الذي أصبح عقيدة الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر ونذكر من رواده فوكو، دريدا، دولوز الذي عمل على نقد التصور الميتافيزيقي الشمولي الذي يخضع الاختلاف بوصفه كثرة إلى سلطة الواحد أو الهوية الواحدة والمعطاة مسبقا، إذن كيف انتقد هذا الفيلسوف الإرث الفلسفي السالب للفرق؟

2.1: نقد التصور الميتافيزيقي ذو التوجه المعرفي

يسعى "دولوز" إلى كشف مخاتلات الفكر الفلسفي الشمولي الذي يؤمن بمقولات الثبات، الإطلاعية، الهوية والتشابه، ويتجلى هذا الإيمان في نفي الفرق أو الاختلاف مقابل إدراجه في هوية المفهوم اللامتعيّن، وتبعاً لذلك تسعى أغلب الأنساق الفلسفية المطلقة إلى إضفاء الوحدة على كل ما هو متعدد ومختلف لأن الاختلاف



فوضوي عرضي ومعاد للحقيقة الكاملة. لا شيء يعادل مسعى إدراك المعارف المطلقة، لذلك تلتزم الفلسفات المغلقة بنفي الاختلافات المعارضة للنظام الفكري وفي هذا المعنى لا يتردد صاحب كتاب "الفرق والمعاودة" في وصف سلفه اليوناني أفلاطون "بالفارماكون" أي ذلك الفيلسوف الذي يعتبر أنّ الاختلاف هو بمثابة الترياق أو الدواء الخطير الذي يتطلب إيجاد دواء لتجاوز أعراضه المرضية.

يهدف دولوز إلى إثبات الاختلاف عكس التصورات الميتافيزيقية التي سعت إلى إقصائه من دائرة تفكيرها، لذلك يجوز لنا أن نفهم أنّ نظرتة للاختلاف ونقده للميتافيزيقا الغربية هما محاولة لتطبيق المشروع النيتشوي المعترف بفكرتي التعدّد والصرورة واعتماد فكرة العود الأبدي التي مكنته من نفي مقولتي التشابه والتماثل وإدراك أنّ كلّ ما يعاد ليس الشبيه، بل الاختلاف، الصيرورة والصدفة؛ «إنّ العودة هي بالضبط وجود الصيرورة، واحد المتعدد، ضرورة الصدفة.» (دولوز، 1998، ص: 40)

يريد صاحب كتاب "الفرق والمعاودة" إتباع ومواصلة المشروع النقدي النيتشوي للأنساق الفلسفية التي تريد بدورها سلب الاختلاف وإخضاعه لسلطة المفهوم الواحد وتجميده بواسطة الهوية المطلقة والمعطاة مسبقاً وهنا يكمن عيب الميتافيزيقا في الخلط بين المفهوم الخاص بالاختلاف (الفرق) وتنزيله في هوية المفهوم بعامّة. (دولوز، 2015، ص: 118)

تنظرُ التَصَوُّرات الميتافيزيقية المعرفية إلى الاختلاف بوصفه منزّل في هوية المفهوم اللامتعين، أي أنّها تثبت أنّ الهوية تعدّ محض مبدأ لا نهائي معتمد لتأليف المتنوع الذي يكون سبب وجود الاختلاف نفسه. (دولوز، 2015، ص: 118)



جعلت الفلسفة التمثيلية من الفرق (الاختلاف) متوسطا وتابعا للهوية بصفتها جنسا ويتم تأمين هذه التبعية في تماثل الأجناس وكذلك التطابق المنطقي للتعينات التي تشابه المضامين المادية على وجه الخصوص. (دولوز، 2015، ص: 117) يخضع الاختلاف إلى شروط التمثل والعقل السليم الذي يجعله يُضَحَّى بكثرته لفائدة الواحد وفروقاته لصالح منطق الهوية وبفرداته لفائدة نظام العمومية، وهنا لا نستطيع الإنكار، أنّ "دولوز" ينتمي إلى فلاسفة الاختلاف الذين فككوا تلك التصورات الميتافيزيقية المحقرة للاختلاف ويعتبر أيضاً من أهم الفلاسفة المؤسسين لفلسفة مفتوحة متحررة من هيمنة العقل الشمولي والمطلق، ومن هذا المنطلق لن تكون الفلسفة مع صاحب كتاب **الفرق والمعاودة** بحثاً عن حقائق معطاة سلفاً، بل هي إبداع لمجموعة مفاهيم وأساليب حيوية جديدة تقطع بصفة نهائية مع فلسفات التمثل التي تُقَرَّر علناً بأنّ الاختلاف يخضع لفكرة ما وراء سماوي أو فاهمة إلهية.

تلعب الفلسفة المغلقة الاختلاف إلى درجة أنّها تجعله ينتمي إلى مجال الخطيئة أو الشر المحكوم عليه بالتكفير وطلب الغفران. (دولوز، 2015، ص: 81)

يتجسّد المشروع الفكري لدى "دولوز" في تقويض تلك اللعنة الميتافيزيقية التي ألحقت بالاختلاف وذلك عندما نجحت في تقييده بفعل التمثل الذي يرتبط بأربعة مصادر أساسية وهي: الهوية في شكل المفهوم اللامتعين، المماثلة في العلاقة بين مفاهيم نهائية قابلة للتعين، والتشابه في الموضوع المتعين للمفهوم ذاته وأخيراً التقابل في علاقة التعيينات داخل المفهوم. (دولوز، 2015، ص: 81) وهذه المصادر تعتبر بمثابة الروابط الأربعة لفعل التوسط وبالتالي سيُقال هنا إنّ الاختلاف "متوسط" شرط إخضاعه إلى



الجذر الرباعي للهوية، التقابل المماثلة والتشابه. (دولوز، 2015، ص: 81) انطلاقاً من مقولة أساسية للفكر الميتافيزيقي وهي الفرق هو الشر. (دولوز، 2015، ص: 81) صاغت الصورة الدغمائية للفكر تصوراً سلبياً للاختلاف بوصفه شر أو مسخ ينبغي إنقاذه وإدراجه تحت سلطة المفهوم أي جعله متصالحاً معه بواسطة فعل التمثيل لأنّ أغلب رواد الفكر الوثوقي يخافون الاختلاف الذي يُهدد ثبات الهويات وتماسك الأنظمة المعرفية والقيمية، فمن الأجدر لهم تمثله بواسطة متطلبات المفهوم الذي يساعدهم على سلبه وإدراجه تحت سلطة الهوية والماهية الثابتة. كانت الحقيقة ولا تزال بالنسبة إلى الفكر الميتافيزيقي مبحثاً أساسياً ينبغي أن يكون سليماً في تماسكه الصوري وتركيبه الدلالي، وهنا يفترض اعتماد منهج سليم واضح وشامل متعالٍ عن كلّ ما هو حسيّ وعرضي لأنّه يعارض مسعى إدراك الحقائق المطلقة والمفارقة، فيبدؤ أنّ هذا المبحث في تقدير "دولوز" مبحث ساذج وثوقي إلى أبعد الحدود لأنّه يستبدل المتنوع والمحايث بالمتعالّي، معتبراً أنّ الحقيقي هو مسألة بديهية واضحة تقطع مع ما هو حسي ومتعدد، وتبعاً لذلك حافظت فلسفات النسق على مسلمات التصور الأفلاطوني الديكارتي للحقيقة بوصفها كشف لعمق وإيجاداً لمفقود وليس جُهداً إبداعياً وإنتاجياً حياً. (حد جامي، 2012، ص: 109) وهنا يتبيّن فيلسوفنا أنّ جل الفلسفات المغلقة تثبت أنّ الفوارق ترمز إلى مدلولات الصفر لأنّها تنتمي إلى عالم الفوضى والحركة واللاوجود الذي يُرادف بدوره لفظة السلب.

يصرّ الفكر الميتافيزيقي من منظور "دولوز" على ربط الاختلاف بكل ما هو متشابه ومتجانس لأنّ أغلب أنصاره يعتبرون أنّ المختلف لا يمتلك أية أولوية بالنسبة إلى ما هو متشابه، فأغلب الأشياء المختلفة والمتعددة مجرد نسخ مشوهة تخضع لأصل



متعالٍ غير محايث مرتبط بعالم مفارق، كما أشار أيضا إلى أنّ مقولة النموذج المثالي شديدة الارتباط بمجموعة مفاهيم كالهوية، التقابل، المماثلة والمتشابه، لذلك نجد عرْما كبيرا من قبل فيلسوف «الفرق والمعاودة» على نقد تلك المكانة الهشة التي وضعتها الفلسفة العقلانية للاختلاف التي وقعت في خطأ يكمن في الخلط الحاصل بين تأسيس تصور خاص بمفهوم الاختلاف وإدراجه تحت سلطة الهوية.

توجد إرادة لدى الأنساق المعرفية تظهر في إستبعاد السيمولاكرات أو الاختلافات لأنّ كل ما هو مُدَانٍ في هذه الأنساق هو الفروقات الأوقيانوسية الحرّة والتورّعات المترحلة والفوضويات الظافرة، فكل هذا الدهاء الذي مُرس ضدّ الاختلاف يكمن في جعله صورة مشوهة لمثال أصلي ومحاكٍ له، وهنا نذكر التمييز الصارم الذي أقامه أفلاطون بين المثال والنسخة، غير أنّ هذه النسخة ليست سوى مجرد مظهر خداع أو نسخة مشابهة لمثال متعالٍ، فهي تعبر عن تلك الإرادة التي جسّدتها الفلسفة الأفلاطونية التي تهدف إلى طرد السيمولاكراً لأنّها تعتبره بمثابة القوى الخبيثة والشريرة والمخادعة التي لا تحترم مفهوم المثال، الأصل أو الأساس. (دولوز، 2015، ص: 483)

إنّ المثال يضع هوية بوصفها تعبيراً عن الماهية في ذاتها ولذاها، غير أنّ النسخة لا يمكن أن تكون سوى مجرد إنفعال مشابهة داخلية للنموذج بوصفها خاصية للشبيه وعلى هذا الأساس تكون المشابهة إلّا مشابهة داخلية مع الكيان أو المثال. (دولوز، 2015، ص: 484) وبالتالي فإنّ النسخة ينبغي أن تكون لها علاقة داخلية مع الكيان أو المثال، حيث يتمكن المثال من إلحاق الفرق أو الاختلاف بهيئات الشبيه، الهو هو، المماثل، المقابل.



يثبت لنا فيلسوف الاختلاف والتكرار أنّ دوافع طرد واستبعاد الاختلافات هي دوافع أخلاقية معبّرة عن الدهاء الفلسفي الميتافيزيقي الذي يعترف بأن تلك الكثرات اللامتناهية والتوزعات المترحلة والفوضويات بمثابة الشر أو العائق الذي يمنع النفس من إدراك الحقيقة المطلقة، لذلك كان من الضروري على هذه الفلسفات الأفلاطونية إقامة تمييز بين الأصلي والفرعي بين الأساس والمؤسس، بين الأصل والتابع وإتباع تلك التراتيبات الثيولوجية بين المثال والنسخة. (دولوز، 2015، ص: 484)

يظلّ الاختلاف في المشروع الفلسفي العقلاني النسقي خاضعاً لذات مفكرة قادرة على منح المفهوم متطلباته الذاتية كالذاكرة، التعرف، والوعي بالذات، وفي هذا المعنى قد يُمحيى الفرق ويجد ذاته مقيداً بفعل التفكير الذي تمارسه الذات. ينتقد دولوز التصور الميتافيزيقي للاختلاف لأنه يجعل من الفرق تابعا لسلطة "الشبيه" ومحوه وجعله متساويا مع المفهوم الشامل أو المطلق من خلال تطابقه مع المثال. (دولوز، 2015، ص: 485)

يخضع الاختلاف لفعل التمثيل الذي تفرضه الفلسفات المحقرة له والذي يتم من خلاله ربط كل ما هو مختلف ومتنوّع بمفهوم الهوية كنوع وتأليفه بواسطة تشابه الأنواع ومن خلال ذلك يحمل مفهومي الأجناس والأنواع ومنطق الهوية الذي يتحقق ويُطبق بواسطة تطابق الموضوع بوصفه جنس مع النوع أي المفهوم، ومن هذا المنطلق نستطيع إثبات وجود أربعة جذور للتمثيل وهي التماثل، التطابق، الهوية، وعدم التناقض. توظف الفلسفات المغلقة مسلمات التمثيل لإضفاء الوحدة على ما هو متنوّع، متشتت، عرضي، وإدراك المطلق الذي يُمثل النموذج المعرفي أو الفلسفي الممكن مقابل استبعاد القوى الخارجية وكل ما هو مرتبط بعالم التنوع أو التعدد.



يواصل "دولوز" نقده لمفهوم التمثل الذي برزت جذوره مع الفلسفة الأفلاطونية التي جعلت من الاختلافات بمثابة نسخ مشوهة ومحاكية لنموذج أصلي حيث يُنظر إليها بوصفها تشابهاً داخلية مشتقة، وتبعاً لذلك تأتي الفروقات في الدرجة الثالثة بعد الهوية والتشابه ويتم توظيفها في لعبة المقارنة بين تشابحين وهما التشابه النموذجي لأصل متطابق وتشابه محاك لنسخة تشابحية. (دولوز، 2009، ص: 259) وهنا أسهمت الفلسفة الأفلاطونية في اتخاذ القرار الفلسفي المتأثر بها وهو إخضاع الاختلاف لقدرات الـ"عين"، التمثل، التشابه، وفي هذا السياق ظهرت فلسفات التمثل في العصر الحديث التي تجعل من المختلف مُدرجاً تحت هيمنة المفهوم وخاضعاً لسلطة الذات بواسطة العلاقة الداخلية التي تفرضها على الموضوع وبالتالي يصير هذا الموضوع بمثابة مُلكاً أو متاعاً للذات المفكرة وتصبح هوية الموضوع مضمونة ونتاجة عن هوية الذات نفسها. (Shirani, 2006, p: 89)

يُعدّ مفهوم التمثل سبب هيمنة الهوية وأولويتها على جميع الاختلافات لأنه يجعلها منقاداً تحت سيطرة نموذج مثالي يحمل هوية واحدة ومطلقة، وهنا نأخذ على الأقل النموذج الكانطي رغم إقراره "دولوز" بأنّ كانط أوردَ لفظة الاختلاف في فلسفته، حيث جمع صاحب كتاب **نقد العقل المحض** بين نوعين من الاختلاف وهما الاختلاف الداخلي الذي نستطيع تسميته بالاختلاف الضمني أي النظام المفهومي الذي يُنتجه الفكر في الفاهمة قبل تمثيل المفهوم للموضوع، والاختلاف الخارجي الذي يميز عالم التجربة (عالم الظواهر) لكن الاختلافات الخارجية تخضع (الاختلاف المكاني) إلى النظام المفهومي ويبدو أنّ هذا النظام لن يتحقق إلاّ بواسطة التناغم المفروض من قبل نظام المفاهيم، وهنا نستطيع القول إنّ الفلسفة الكانطية من منظور دولوزي اعترفت



بعالم التنوع أو التجربة الموضوعية لتدعيم تشبثها بفكرة المفترضات القبلية وتوظيف المفاهيم المحضة من أجل تأليف المتنوع الحسي (الإمبيرقي) مع العلم أن "كانط" يعتبر بالنسبة إلى صاحب كتاب **الفرق والمعاودة** من أهم الفلاسفة الذين أحدثوا تلك الثورة النقدية الكبرى في تاريخ الفلسفة، وهي أنّ العقل البشري لا يستطيع معرفة المعارف المفارقة (الأشياء في ذاتها) مدركاً أنّ المعرفة محصورة في عالم التجربة أي أنّها لا تتخطى العالم الموضوعي، لكن خطأ كانط يكمن في جعل متنوع الحدس الحسي خاضعاً للتأليف الماقبلي، أي أنّ الماقبلي يُطبق على التجربة ولا ينبع منها. (Antonioli, 1999, p:81)

ورغم إقرار الفلاسفة الهيغلية في نسقها المعرفي بوجود الاختلاف البراني (الموضوعي) غير أنّها وقعت في مشكل يظهر في سلب الاختلاف وجعله مغترّباً عن ذاته وأسرته تحت سلطة الهوية.

يبدو أنّ المنطق الهيغلي منطق موضوعي لا يهتم بدراسة الفكرة الشاملة بمعزل عن البراني وهنا أثبتت جل الكتابات الهيغلية أنّ المنطق الصوري هو منطق غير محايد متعالٍ عن الواقع الموضوعي مقابل إهتمامه بالمقولات المجردة والصورية وإنشغاله بفكرة الشيء في ذاته، وبالتالي أسهمت الفلسفة الهيغلية في إعادة الاعتبار للواقع الفعلي واكتشاف الاختلاف عندما تتوسط الذات وتنعكس في ذاتها، ولكن تنتهي هذه الفلسفة إلى خيانة الاختلاف وتشويهه لأنّها تختزله في معنى التناقض الذي يفترض وجود التقابل.

يَنتع صاحب كتاب **فينومولوجيا الروح** الاختلاف بمدلول التناقض حيث يعمل على وضعه قسراً تحت هيمنة هوية مسبقة من أجل بلوغ فكرة التطابق. (دولوز،



2015، ص: 121) وهنا تجعله الهوية منعكسا من أجل ذاتها فحسب لا أن يستقل لذاته، وهنا حافظ "هيغل" على تعاليم الإرث الميتافيزيقي الذي يجعل من الاختلاف خاضعا لمنطق الهوية وفكرة التطابق، لأنه يذهب في هذا الإرث إلى التعارض أو التناقض الذي يمثل في نفس الوقت خطرا على الهوية، لذلك يجوز إدراجه تحت سيطرة الفكرة بواسطة مفاهيمها الأساسية كي لا يؤدي إلى الخطأ وإبعاد الذات عن المعارف المطلقة، وتبعاً لذلك يقع إدراك الاختلاف دائما ضمن حيز هوية المفهوم. (مانع، 2003، ص: 32)

2. منزلة الاختلاف وعلاقته بمفهوم التكرار

1.2: مكانة الاختلاف في الفلسفة الدولوزية ودلالته:

يعوّل "دولوز" من خلال نقده لمكانة الاختلاف في العقل الميتافيزيقي على تقديم صورة جديدة للفكر مثبتة للتنوع والتعدد، غير أنّ هذا الغرض ينبغي أن يكون متوافقا مع مخطط أنطولوجي يتمثل في إثبات وجود نظرية تدافع عن أولوية الاختلاف وعرضية التماهي والإعتراف بالحايثة المطلقة بين عناصر الوجود وعمله لأنها تعتبر من أهم الركائز الأساسية لتحقيق مشروع فلسفي منفتح على الفرق. (حد جامي، 2012، ص: 133) لذلك يستجيب مفهوم الاختلاف في الفلسفة الدولوزية إلى ضرورة تحلي الفلسفة ذاتها عن صورتها الدغمائية كما تحدّت مع الأفلاطونية، أي أنّها تبتعد عن تلك التصورات التي ألحقت الفرق بقوى الواحد، المماثل، الشبيه والسليبي. (دولوز، 2015، ص: 133)

لا يتقوّم المشروع الفلسفي على تكوين علاقة تكامل مع الهوية ومقولاتها الأخرى مثل التشابه، التماهي الثبات، بل يركّز على منطق آخر يثبت وجود الفروقات



وأولويتها على منطق التشابه وتحقيق فعل الإيداع المفهومي.

(Beaulieu, 2005, p:15)

يشرّع "دولوز" لوجود فلسفة مفتوحة تعترف بأهمية العلاقات الخارجية (البرانية)، لأنها تثبت وجود المظاهر الخداعة التي تنسب المختلف إلى المختلف بواسطة الاختلاف مدرّكاً من خلال ذلك أنّ الكل ليس كلاً مغلقاً بل هو كل مفتوح واختلاف في السلاسل واختلاف في الاختلاف نفسه وتواصل في السلاسل دون وجود أية هوية تحويها مسبقاً، وعلى هذا الأساس لا تستطيع الفلسفة الدولوزية طرد الاختلافات لأنها تحيل إلى فكرة التفاضل أو التمايز وهنا يتعيّن مفهوم الاختلاف لدى صاحب كتاب الفرق والمعادة على أساس أنّه اختلاف تكثيفي، لا متساوٍ، مختلط، غير ممتد وغير محدد، ومغاير. (دولوز، 2015، ص: 487)

لا يرتبط الاختلاف الدولوزي بأية هوية قائمة مسبقاً، بل أنّه يؤسس ذاته بذاته وينبع من عالم محايث تجريبي ومتنوع لأنّ النسق في الفلسفة الدولوزية هو نسق مفتوح متكوّن من مجموعة من العلاقات المتخارجة، فهذا يعني أننا لم نعد نتحدث عن وجود علاقات داخلية محلية منطقية، بل عن علاقات خارجية بين الأشياء تُكوّن مجموعة سلاسل راهنة غير مدمجة تحت لائحة المقولات التي تعود إلى فلسفات التمثل.

ترتبط السلاسل الواقعية (الإشهادية) بكلّ ما هو تجريبي ومتعدّد، وهنا قد يبين لنا "دولوز" أنّ مجموعة المفاهيم المكوّنة لفلسفته كالحركة، التعدّد، الصيرورة، التخالف، لا يمكن إدراجها تحت لوحة المقولات، ولا نستطيع أيضاً تعريف الفرق بشكل الهوية في الهوية، بل هو يعني تلك الكثرة المحضة المتواجدة في الفكرة التي تقصي المطابق بشكل جذري، أي أنّه يكون فرقاً دون توسط، تلك هي سمة الأنساق الفارقة ذات السلاسل



المتنافرة والمتعادية والنذير المعتم والحركة القسرية، إذ تسمى بالسيمؤلاكرات أو إستيهامات. (دولوز، 2015، ص: 246)

تكمن قيمة الاختلاف لدى "دولوز" في إثباته لوجود اللاتجانس أو الأنظمة المتباينة القادرة على تحقيق فعل التواصل بين السلاسل اللامتناهية والانفتاح على عالم الفينومين المتكوّن من حدود لا متجانسة ولا متناهية وعلى هذا الأساس لن يكون الفرق مجرد نسخة لنسخة مشابهة، أيقونة منحطة، بل أصبح خاليا من فكرة المثال الواحد، النسخة المشوهة أي أنه لم يُعَدَّ يُخَضَّى بهوية الهُو الفكري، وهنا نستطيع أن نتبيّن أنّ الفلسفة المفتوحة لدى صاحب كتاب **الفرق والمعاودة** تلتزم بضرورة التحرّر من التصور الأفلاطوني الذي ينطلق من مجموعة دوافع أخلاقية مقصية للفروقات وذلك من خلال أسرها بواسطة مفهوم الهوية أو الشبيه، مقابل التمسك بتمرد الفرق والتشبيث باستلهاهم فلسفي هيراقليطسي وكذلك التأثير والانفتاح على المذهب السفسطائي المصدر لضجيج فكري جهنمي ضدّ الآباء الأفلاطونيين. (دولوز، 2015، ص: 248)

إن الاختلاف هو تلك الصورة الشيطانية أي الأيقونة الخالية من أية مشابهة، فهو يتمكّن من وضع المشابهة في الخارج وتحريرها من فكرة النموذج الذي يُخَضَّى بهوية "الهو هو" الفكري لأنّ الاختلاف ذاته يُوحى إلى المباين واللاتكافؤ واللامساوي. يتلاشى النموذج في الاختلاف وفي نفس الوقت تتوغل النسخ في تباين السلاسل التي يتم إستنباطها دون أن نقول إن أحدها نسخة والأخرى نموذج. (دولوز، 2015، ص: 249) لذلك نستطيع القول إن إهتمام أو إنشغال "دولوز" بالاختلاف يظهر من خلال كشف ثغرات ونقائص الإرث الفلسفي السابق الذي عمّل على سلبه،



غير أنّ هذا المفهوم مع الفلسفة الدولوزية يرمز إلى وجود تفاضلات وتميزات بين الاختلافات من خلال إقترانها باختلافات أخرى. (مانغ، 2003، ص: 70)

يتواجد الاختلاف في الاختلافات نفسها والتمايزة عن بعضها البعض، وإذا اعتبرنا أنّ الاختلاف يعني تفاضل وتمايز المختلف فهو حتما ظاهرة كمية عددية، وبمعنى أدق إنّ كل ما هو كمي ومتعدد هو مختلف في الوقت نفسه أي أنّه إختلاف متعدد ومتنوع، فيتمظهر الاختلاف بواسطة وجود الاختلافات وهذا يعني أنّ الاختلافات تولّد وتُحدّث الاختلاف. (مانغ، 2003، ص: 70)

أسهم "دولوز" من خلال إقراره بقيمة الاختلاف في تأسيس صورة جديدة للفكر تكمن ملامحها في إثبات الصدفة، الغياب الفوضوي الاختلافات والكثرة، التنوّع الثقافي الخطابي والاجتماعي والديني وإبراز أنّ الاختلافات ترتبط دائما بنسق من التعدّات، فهذا يعني أنّ ما يثبت وجود التعدد (التنوع) ليس تلك الهوية المسبقة والنابعة عن سلطة المفهوم والجوهر، بل من تراكب العلاقات التفاضلية، وهنا نستطيع أن نثبت أنّ الاختلاف يُوجد المتعدد بواسطة العلاقات التفاضلية.

ولا يفوتنا أن نذكر أنّ عالم المحايثة يمثل تلك الأرضية الهامة المبرزة لقيمة الاختلاف في الفلسفة الدولوزية لأنّه يتسم بكثرة أشيائه اللامتناهية، وتنوّعها، وهذه الأشياء المتواجدة في عالم حسي لا متناهٍ وغير محدود تضمن وجود "الاختلافات وتبرز في الوقت ذاته العوامل التفاضلية بين الاختلافات نفسها.

تنتمي الأشياء الحسية إلى عالم يتسم بالكثرات المتعددة في الكثافات المساهمة في بروز الاختلاف وقد تكون جميع المعطيات الحسية غير متكافئة، ويبدو أن اللاتكافؤ هو المثبت لوجود الاختلاف، وإذا أدركنا أنّ المعطيات الحسية غير متكافئة، فهذا يعني أنّها



تبرز وجود إختلاف جلي بين القوى والسلاسل وبالتالي نستطيع القول، إذا إن وُجد لا تكافئ لا يمكن أن تتعطل صيرورته الدائمة.

تعترف الفلسفة الدولوزية بوجود إختلاف إشتدادي لأنّ الشدة تثبت الفرق لكونها تتضمن اللامتساوي وكونها سلفا فرق في ذاتها تجعل من الإختلاف موضوع إثبات وهو في الأصل تعدد لأنّه يفتح على عالم محايث لا متناه ويتقدم أيضاً على أساس كونه مركب أو سلسلة من الأطراف المتنافرة والمتباعدة، ومن هذا المنطلق يمكننا اعتبار أنّ الإختلاف هو عينه شدة فارقية لأن الشدة نفسها لن تكون إلّا صورة الفرق بوصفه علة المحسوس، وهنا يعتبر "دولوز" أنّ كلّ شدة تعني فرقاً في حدّ ذاتها. (دولوز، 2015، ص: 412)

يُعتبرُ الإختلاف في الشدة العلة الكافية للظواهر لأنّه يمثل شرط كل ما يظهر أي أنّه يصبح علة كلّ ما هو معطى وشرط تحقق كل ما يتقدم. (حد جامي، 2012، ص: 22)

حقق "دولوز" من خلال إنشغاله بمسألة الإختلاف تلك النقلة النوعية له من مجرد خضوعه لجدل العلاقات الإفتراضية الفكرية إلى المحايثة الموضوعية الحسية والتجريبية، ونتيجة لذلك يُعدّ إختلاف الشدة مبدأ العالم برمته فكراً ووجوداً. تكمن قيمة الإختلاف في تأسيس فلسفة منفتحة على عالم الكثرة اللامتناهية المتواجدة في عالم أو سطح محايثة يتأتى كبديل عن الثنائيات الأنطولوجية التي عملت على ربط كل ما هو متنوّع بموطن الرذيلة أو الزلل، وقد يكون هذا السطح لا متناهياً متسماً بوجود حركات غير نهائية وأشياء متعددة، فهو يحمل كلّ ما هو مختلف متنافر ومتكثّر مُثبت لتلك الفدرات والأحداث المعوضة للثنائيات الميتافيزيقية الثابتة. إنّ سطح المحايثة أشبه



بمقطع من الكاوس (السديم)، ولكن ما يميز السديم ليس غياب التحديدات بل تلك الحركات اللامتناهية التي تظهر فيها تلك الحركات اللامتناهية وتبرز فيها تلك التحديدات وتلاشى وقد تشكل هذه الحركات تغيرات مطبوعة على سطح المحايثة. (دولوز، غتاري، 1997، ص: 61) الذي يمثل المنبع أو الأصل المساهم في إظهار الاختلافات وتميزها عن بعضها البعض وهنا يتضح لنا أنّ الاختلاف الدولوزي هو اختلاف إمبريقي محايث ينطلق من عالم أرضي يتنازله وتحترقه حركات متعددة وتهيمن عليه الإحداثيات المتكثفة، وقد يمكنها هذا العالم من إثبات الصدفة، الصيرورة والتعدد، الفوضى والانظام ومعارضة فكرة الضرورة التي أسستها الأنساق المغلقة. (Shirqni, 2006, p 366)

يكشف لنا عالم المحايثة في الفلسفة الدولوزية عن وجود تلك الكثرة المستمرة المبرزة لتعارضات القوى ووجود التباينات الإشتدادية وفي هذا المعنى يحقق سطح المحايثة ذلك الإمتلاء بمجموعة من الفراتات المعبرة عن العنصر التفاضلي وهنا تمكّن دولوز من تجاوز الفلاسفات المغلقة التي تهتم بوجود ذات تتعالى عن العالم الموضوعي، فهو يسعى من خلال هذا التجاوز إلى تأسيس صورة فكرة جديدة تعترف بوجود المفاهيم التالية كالإنطباع، الحدث، السيلان، التكرار والمعبرة في الوقت ذاته عن أهمية السيلان الدائم والمحايث للحياة. (Shérer, 1998, p 17)

يريد "دولوز" تأسيس فلسفة إختلافية تعددية تبرز وجود مجموعة من السلاسل المتلاقية في كاوس لا شكلي، حيث لا تتمكن أي سلسلة من فرض هويتها على السلاسل الأخرى والمختلفة معها لأنّ النسق الدولوزي هو نسق متكون من سلاسل متباينة ومختلفة تتواصل مع سائر السلاسل الأخرى بواسطة الاختلافات المثبتة للفوضى.



يعني الاختلاف في الفلسفة الدولوزية وجود العلاقات التفاضلية أي أنه يحيل إلى معنى تميّز المختلف عن المختلف في إقترانه باختلافات أخرى. (مانغ، 2003، ص: 70) فهو يتواجد في الاختلافات التي تتمايز عن بعضها البعض. يجوز للاختلاف أنّ يثبت تجربته الخاصة لأنّه يفترض كثرة من الاختلافات، وتعددية فروق حرة، (دولوز، 2015، ص: 118) برّية أو غير مُدجّنة لكي يرسم تباينات قوى تتوزّع في سطوح متحركة غير متناهية.

إنّ ما ترفضه فلسفة الفرق من وجهة نظر "دولوز" هو كل تعيين سلبي، أي ذلك التصور الذي يعتبر أنّ الاختلاف هو اللامتعيّن واللامتحيّز أو التصدّرات التي تعتبره فرقا متعينا سلفا بصفته سلبا يتضمّن السلبي الذي يخضع لفعل تنظيمي تمارسه الذات المتعالية، في حين يكون الاختلاف في المقابل موضوع إثبات يستدعي فروقات محترمة ومثبتة.

إنّ الفرق هو السلب، لكنّه الفرق المرئي، من أسفل، فهو الإثبات الذي لن يكون إلّا تعدّدًا وإبداعًا في الوقت ذاته قادرًا على أن يقطع مع تلك الهويات التي تفرض عليه مقولتي التطابق والتشابه.

2.2: الاختلاف والتكرار

إنّ فلسفة "دولوز" هي فلسفة فارقية بامتياز لأنّها تسعى دائما إلى إثبات المختلف واللامتجانس مقابل تفكيك أليّة التمثل التي تعترف بوجود نظامي التماثلات والعموميات وفي هذا المعنى أسّس صاحب كتاب الفرق والمعاودة مجموعة مفاهيم منحازة عن الأنساق الفلسفية المغلقة من بينها التعدد، التنوع، الصيرورة، المحايثة، اللاتجانس، والاختلاف والمعاودة، فهذان المفهومان (الاختلاف والمعاودة) قد يضعاننا



في مشكل فلسفي حرج، وهو كيفية الجمع بين النقيضين أي الاختلاف بوصفه فرادة، تمايز وجدّة، والتكرار الذي يعني عودة الشبيه.

يسعى "دولوز" إلى تأسيس معادلة جديدة لهذين المفهومين وذلك بتحريرها من الرأي الذي يميز بينهما وتكوين علاقة تطابق معهما، فهذه العلاقة تعبر حتما عن وجه الفاجعة في نظر الفلسفة ذاتها. (مانغ، 2003، ص: 25) وربما تعود هذه الفاجعة إلى أنّ العقل الميتافيزيقي قد إعتداد على تقديس مقولات التماهي، التطابق، التشابه وعدم التناقض، مقابل نفيه لكل ما هو مغاير ومتحوّل.

إنّ التصورات التي تميز بين "الاختلاف والتكرار" لا يُمكنها أنّ تقيم علاقة تلازم بينهما لأنّ الاختلاف بما هو تمايز وإتيان بالجديد كمعارض لمفهوم التكرار الذي يعني عودة الشيء نفسه عدّة مرات. (مانغ، 2003، ص: 70) في حين يسعى "دولوز" إلى ضرورة تخلي الفكر الفلسفي عن تصوّره لمفهوم التكرار وإخضاعه لمنطق التشابه، لهذا السبب أقام هذا الفيلسوف في كتابه **الفرق والمعاودة** تمييزاً بين المعاودة (التكرار) والعمومية، إذ يرى أنّ العمومية شديدة الارتباط بمجموعة من المفاهيم من بينها التشابه، التكافؤ، التساوي، المبادلة والاستبدال. (دولوز، 2015، ص: 118)

إذا كانت العمومية تعترف بفعلّي المبادلة والمشابهة، فإن التكرار يؤمن بضرورة التصرف. وفق شيء فريد لا شبيهه لأنّه متحرر من أي تشابه ومن أي تطابق.

لا يندرج التكرار ضمن أية شمولية لأنّها قد تخضع تلك الفردات المتنوعة لما هو كلّّي ومطلق، ونذكر هنا القوانين الأخلاقية التي تفرض نمطاً من التشابه على الذوات الخاضعة له، وبالتالي يسعى القانون الخُلقي إلى نفي التكرار المرتبط بالاختلاف لأنه يقدم مجموعة من الأوامر الأخلاقية والنواهي لمجموعة من الأفراد لكي تنساق لها دون أنّ



تشرعها بنفسها، ومن هذا المنطلق نعتبر أنّ ما يتكرر في القانون الأخلاقي هو عدم التناقض مع الواجب ذاته الذي يفرض إستحالة الإتيان بفعل مناقض لنظام العادات، لكن "دولوز" يعتبر أنّ التكرار معارض للقانون الخُلقي الذي ينتمي إلى مجال العموميات وأنظمتها القسرية مبرراً أن المعاودة الحقّة تكون ممكنة إلا إذا تمكنت من معارضة القانون وقلب الصورة المماثلة له ونفي المحتوى المكافئ له. (دولوز، 2015، ص: 34)

تتأكد قيمة التكرار باختراقها لأي قانون سوى أكان طبيعياً، خُلقياً، سياسياً وعلمياً وتعبيرها عن فرادة ضد العالم وعن إختراق لكل ما هو إعتيادي ومتفق عليه. يرفض دولوز التصورات الفلسفية التي تعتقد أنّ التكرار لا يستطيع تحرير ذاته من حيز المفهوم وهي تعول على ربطه وإقترانه بمفاهيم التشابه، التكافؤ، التطابق بين سائر التكرارات والعادة.

ينبغي أن نحرّر التكرار مع فيلسوف "كدولوز" من سلطة المفهوم لأنّ التكرار الحقيقي بالنسبة إليه هو إختلاف دون مفهوم، وهنا تحتاج الفلسفة إلى أن تزود نفسها بطاقة لا محدودة لكي تثبت أنّ التكرار يعني إختلافاً متحرراً من نظامي التشابهات والتكافؤات ومنزاحاً عن سلطة المفهوم وإطلاقيته، وقد يحتاج التكرار الحقيقي إلى التزود بطاقة تقويض كبرى تمكّنه من التجرد من سلطة المفهوم وتجاوز التصوّر الوثوقي الذي يقدم التكرار كنقيض للإختلاف. (حد جامي، 2012، ص: 22)

إنّ ما يتكرر هو كل ما يختلف، فما يجسد فعل الإختلاف هو التكرار الذي لا يُمكن قياسه بهوية مطلقة، وهنا ينبغي علينا أن نشير إلى أن "دولوز" قد إستفاد من كل من "نيتشه"، "كيركغارد" و"بيغي" لصياغة تصور خاص لمفهوم التكرار بوصفه تجاوز للإطلاقية الشاملة والتشابه المفهومي.



يظهر التكرار على أنه تكرار دون مفهوم لأنه يقدر على الإفلات من الاختلاف المفهومي المتواصل دون حدّ والذي يقاوم بدوره كلّ تنويع بواسطة المقولات نفسها التي تفرض التطابق معها، ويوظف "دولوز" هنا الفلسفة الكانطية باعتبارها النموذج الفلسفي الحديث الذي سعى إلى إخضاع الكثرة لسلطة المفهوم وجعلها مطابقة معه؛ «يقول كانط مهما ذهبت بعيداً في المفهوم فإنه بإمكانكم أن تعاودوا دوماً، أي أن تطابقوا معه الكثير من المواضيع.» (دولوز، 2015، ص: 54)

ليس التكرار تشابهاً تمثلياً، بل هو واقع أنطولوجي لا يخضع لأية هوية مطلقة لأنه لا يحيل إلى عودة الشيء ذاته بل هو يعبر عن قوة الاختلاف الذي يظهر كعقل فريد يناهض في كيانه التفكير العمومي.

ومن جهة أخرى لا نستطيع أن ننكر أنّ مفهوم التكرار الدولوز مستوحى من الفلسفة النيتشوية، ونذكر بالخصوص مفهوم العود الأبدي، وقد توصل صاحب كتاب "الاختلاف والتكرار" إلى أنّ هذا المفهوم المركزي النيتشوي قد أسهم في بروز فلسفة غير نسقية مفتوحة تثبت وجود الصدفة، الخواء والحركة الدائرية. ومكّن العود الأبدي النيتشوي "دولوز" من إثبات نهاية فكرة العوالم المفارقة والانفتاح على عالم محايث يتميّز بحركاته اللامتناهية وأشياءه المتعددة، وإلغاء فكرة الضرورة وإنتاج الصدفة وإعادة إثباتها. (دولوز، 1993، ص: 39) لذلك يوظف "دولوز" مفهوم العود الأبدي النيتشوي لصياغة تصور خاص بالتكرار المثبت للاختلاف الذي يمثل الأصل الوحيد الذي يجعل المختلف منتسباً إلى المختلف ومتعايشاً بشكل مستقل عن كلّ تشابه، وهو يساهم في إبراز المظهر الخداع الذي يعارض تلك الأنساق الخاضعة لقانون التشابه وعودة الـ"عينه" والمماثلة.



لا يجعل مفهوم التكرار "العينه" والمتشابه يعودان لأنّه لا يشتق ذاته إلاّ من عالم الاختلاف المحض. (دولوز، 2009، ص: 257)

يعتمد "دولوز" على مفهوم العود الأبدي كمقولة أساسية للإبتعاد والتحرر من سلطة التشابه، لأنّ التكرار في الفلسفة الدولوزية لا يهدف إلى إعادة الشبيه، بل يعرض ذاته كبصمة لإثبات فعل الحرّية ويوظف تلك القدرة التي تمكنه من تجاوز نظام التشابهات وتكرار ما لا يمكن تكراره. (Beaulieu, 2005, p 40)

يؤسس دولوز إيتيقا فلسفية جديدة تسمى بإيتيقا التكرار المتجاوزة لنظام العموميات أو التشابهات التي تفرضها الأنساق السالبة للاختلافات، مقابل البحث عن الكثرة المبرزة للاختلافات والإبداع والوجود الإشتدادي وهنا نستطيع القول إنّ منزلة مفهوم العود الأبدي لدى صاحب الفرق والمعاودة تكمن في إعلانه عن موت مقولة "الواحد" وإثباته لفكرة الكثرة ووجود المختلف والصدفة والوجود المتكرر.

استفاد "دولوز" من فكرة العود الأبدي لتكوين تصوّر جديد للتكرار الذي يقطع مع نظاميّ التشابهات والعموميات ونظام الزمن الخطّي، كما لا يفوتنا أن نذكر أن هذا الفيلسوف قد نجح أيضا في توظيف الفلسفة البرغسونية لتأسيس نظرة خاصة للتكرار، وهنا نشير إلى أن هتّين الفلسفتين قد ساعدتا "دولوز" ذاته على إبراز تعددية زمنية متمسمة بكثرة لحظاتها وتنوع توجهاتها وإثبات وجود اختلافات متنوّعة تقطع مع أية هوية قائمة بطريقة مسبقة.

ويعني الاختلاف وجود العلاقات التفاضلية وتميّز المختلف عن المختلف، في حين يُعرّف التكرار في النسق الدولوزي، بعودة المختلف لا الشبيه، وهو يُعبّر عن تلك القدرة المثبتة للاختلاف، وهنا لا نستطيع الحديث عن وحدانية السلاسل في هذا



الفكر، بل عن وجود سلاسل متفاضلة ومتنوعة ومختلفة. لا يفرض مفهوم التكرار عودة دورية للمماثل أو الشبيه، بل تنوّع الدورات المتعايشة ووجود الكثرة والتعدد داخل كل دورة. (Antinioli, 1999, p : 39)

حلّت لعبة "الاختلاف والتكرار" محل لعبة "التمثل والعينه"، ويُدل هذا على أنّ التكرار الدولوزي هو تكرار المختلف لأنّه يُثبت الاختلاف ويبرز تلك الحركية أو الدينامكية الإشتدادية التي تعارض التكرار الشمولي المرتكز على تكرار العناصر والعادات، الحالات والمزّات.

يثبت صاحب كتاب **الاختلاف والتكرار** وجود تكرار إيجابي معارض للتكرار السكوني، وهذا يعني أن التكرار الذي يجبذه هذا الفكر هو تكرار يؤمن بوجود اللامساواة والاختلاف، ويعترف بأهمية الفعل الانتقائي أو الحرية التي تمارسها الذات لتجاوز نظام العادات وإبداع قيم جديدة.

يقيم دولوز علاقة تكامل وتعاضد بين مفهومي الاختلاف والتكرار، حيث ينتهي إلى تحرير مفهوم التكرار من سلطة العادات ومن أسر مقولة التشابه وعقد علاقة عميقة مع الاختلاف لأنّه لا يرتبط بأية هوية ولا تطابق ولا مساواة. (حد جامي، 2012، ص: 205)

خاتمة:

إن إهتمام دولوز بمشكل الاختلاف ينتج عن رفضه لحصر الاختلافات داخل منظومة مغلقة ونقده لتلك التصورات الفلسفية المطلقة التي تخضعه لمنطق الهوية، مقولة التشابه وفكرة الشر الذي ينبغي نفيه، فهو يريد مقابل ذلك إثبات وجود علاقة تكامل بين فلسفته وتواجد تلك الاختلافات المتعدّدة واللامتناهية، وغير المكبوحه، وقد يرتبط



وجود الاختلاف بوجود تلك التعارضات أو التمايزات التي تتكفل بتوزيع التباينات في كثرة ما وتواجد هذه الكثرة في عالم أو سطح محايث يتسم بأشياءه المتعددة وحركاتها اللامحدودة وكثرته اللامتناهية.

يسعى دولوز بواسطة إنشغاله بالفرق (الاختلاف) إلى إبراز الفدرات وتحصيل اللقاءات بينها وإعادة الاعتبار للمظهر الخداع الذي يساهم في إظهار الاختلافات ونسب المختلف إلى المختلف.

كما يحيل الاختلاف في الفلسفة الدولوزية إلى وجود العلاقات التفاضلية التي تنتج عن وجود التميزات بين الأشياء المتنوعة، وبالتالي لم تعد العلاقات في هذه الفلسفة علاقات داخلية، بل هي برّانية متحرّرة من هيمنة الأنساق المطلقة، لأنّ الفرق هنا لا يستطيع الاندماج في كلّ ما هو شمولي وما هو مطلق، كما نجد أنّ هذه الفكرة قدّ توضحت في فلسفته السياسية المنفتحة على التعددية والديمقراطية الوسطية المتجاوزة للإيديولوجيات المغلقة والمطلقة التي تركز مجموعة أنظمة مشتركة، مطلقة، تؤمن بمجموعة أفكار ثابتة تخلق بواسطتها مجتمعات خاضعة لكل ما هو متشابه ومشترك وفي هذا المعنى نستطيع أن نعتبر أنّ للاختلاف معنا عمليا لدى دولوز، إذن ما هي دلالاته في هذا الحقل (الإستيقا، السياسة) ؟

قائمة المصادر والمراجع

أولا/ قائمة المصادر:

- دولوز، جيل. (1993). نيتشه والفلسفة. تر: أسامة الحاج. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.



- دولوز، جيل. (1998). نيتشه. تعريب: أسامة الحاج بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
 - دولوز، جيل. (2009). التكرار والاختلاف. تر: وفاء شعبان. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
 - دولوز، جيل. (2015). الفرق والمعاودة، ترجمة وتقديم وتعليق: عبد العزيز العيادي. ط 1. لندن: طوى للثقافة والنشر والإعلام.
 - دولوز، جيل. فليكس غتاري. (1997). ماهي الفلسفة. ترجمة وتقديم: مطاع صفدي. بيروت: مركز الإنماء القومي.
- ثانيا/ قائمة المراجع:

1_ باللغة العربية

- النجم، زياد عبد الكريم. (2017) الخلاف والاختلاف، الداء والدواء، موقع سياسة بوست، تاريخ النشر: 2017/08/10، تاريخ الاطلاع: مارس 2021.
- الرابط: <https://www.sasapost.com/opinion/difference-and-dispute>
- حد جامي، عادل. (2012). فلسفة جيل دولوز عن الوجود والاختلاف. الدار البيضاء: دار التوقال للنشر.
- مانغ، فيليب. (2003). نسق المتعدد أو جيل دولوز. تر: عبد العزيز بن عرفة. اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع.

2_ باللغة الأجنبية:

- Antonioli, Manola. (1999). **Deleuze et l'histoire de la philosophie**. Paris: éditions Kimé.



- Beaulieu, Alain. (2005). **Gilles Deleuze et l'héritage philosophique**. Paris: puf.
- Schérer, René. (1998). **regards sur Deleuze**. Paris: Kimé.
- Shirani, Takashi. (2006). **Deleuze et la philosophie del'immanence** préface de Jacques Rancière. Paris: l'harmattan.